مشهد

المتحف والمسجد وسجلات الهوية التركية

«آيا صوفيا»... انقسام المثقفين الأتراك

انقسامٌ في مواقف المثقّفين الأتراك أثاره إلغاء المحكمة الإدارية العليا في تركيا قرارَ مجلس الوزراء لعام 1934 بتحويل «آيا صوفيا» من مسجد إلى متحف؛ فبينما يُدرجه فريقٌ ضمن «محاولات الانقلاب على الهوية العلمانية»، يرى آخرون أنّه «يحقّق حلم كلّ مسلم تركي»

إسطنبول ـ **أحمد زكريا**

ربما لم تشهد الأوساط الثقافية التركية، منذ احتجاجات «غيزي بارك» بإسطنبول في 2013، انقساماً حاداً بين المثقّفين، مثلما حدث في الأيام السابقة بعد قرار المحكمة الإدارية العليا في تركيا إلغاء قرار مجلس الوزراء الصادر بتاريخ 24 تشرين الثاني/ نوفمبر 1934 بتحويل «آيا صوفيا» من مسجد إلى متحف، كما أشارت المحكمة في قرارها إلى امتلاك «وقف السلطان محمد الفاتح» لـ«آيا صوفيا»، وأنه سيتم تقديمه كجامع في خدمة الشعب.

وقد ربط كثير من المثقّفين الأتراك المعارضين لهذا القرار موضوع «آيا صوفيا» بمحاولات النظام التركي «الانقلاب على هوية تركيا العلمانية». وفي مقدّمة هؤلاء، الروائي أورهان باموق، الحائز جائزة نوبل للآداب، والذي صرّح في مقابلة مع «هيئة الإذاعة البريطانية» بأن «إعادة فتح آيا صوفيا مسجداً للعبادة، يعني أننا نقول للعالم إننا لم نعد علمانيّين». وأضاف: «هناك ملايين من الأتراك العلمانيين مثلي يصرخون ضدّ هذا القرار، لكن أصواتهم غير مسموعة».

أمّا المخرج سمير أصلان يورك، فإنه يتساءل في حديثه إلى «العربي الجديد» عن الفائدة من هذا القرار الآن، ويقول: «لا يهمّني إذا تحوّل آيا صوفيا بعد كل هذه السنوات إلى مسجد. لم أكن أذهب إليه عندما كان متحفاً، ولن أذهب إليه بعد أن صار مسجداً. ولكن في الحقيقة أعجبني أن أميركا وأوروبا والمتزلّفين للغرب منزعجون الآن. أمّا عن الذين يقولون إن العلمانية تتلاشى الآن من تركيا، فأحبّ أن أقول لهم: صباح الخير! هل لاحظتم الآن فقط؟».

امتدّت الخلافات حول موضوع «آيا صوفيا» إلى الأوساط الأكاديمية أيضاً بين المؤرّخين الأتراك؛ إذ يرفض المؤرّخ البارز إلبير أورتايلي قرار تحويل آيا صوفيا إلى مسجد، بقوله: «إن القرار قد أُخذ قديماً بتحويل آيا صوفيا إلى متحف، ولا داعي لهذه «البروباغندا» الآن، لأنه من الأساس يوجد قسم في آيا صوفيا يُرفع فيه الأذان في أوقات الصلاة، ويصلّي فيه الناس». ويضيف: «موضوع آيا صوفيا ليس لعبة، ويجب ألّا يكون أداة سياسية أبداً، هذا أمر خطير. ويجب الالتزام بقرار عام 1934».

أمّا المؤرّخ مراد بردقجي فيؤيّد القرار قائلاً: «إن المجتمع التركي المحافظ كان يحلم بشيئين منذ الثلاثينيات؛ أوّلاً، أن يعود الأذان باللغة العربية بدلاً من التركية التي استُخدمت منذ عام 1932، وثانياً، أن يعود آيا صوفيا مسجداً بعد أن تحوّل إلى متحف عام 1934. وقد عاد الأذان بالعربية مرّة أخرى بعد 18 عاماً في ظل حكومة عدنان مندريس، وأخيراً، ولله الحمد، عاد آيا صوفيا مسجداً من جديد. وقد كان هذا حلماً لكل مسلم في تركيا، وها قد تحقّق». كما يتّفق الشاعران راسم أوزدينورين وإبراهيم تنكجي على تأييد القرار، وربطه بهوية تركيا الإسلامية. حيث يرى الأول: أنه «قرار يشبه فتح القسطنطينية. وسوف يخلّد التاريخ أسماء كل من حاربوا طوال سنين من أجل أن يعود آيا صوفيا إلى مسجد. وأتمنّى أن يصبح هذا القرار باباً لفتوحات جديدة»، مضيفاً: «هناك من يقولون إن هذا القرار هو خطوة في طريق تحرير الأقصى، وأقول إن هذا صحيح ولكن قبل «فتح مكة» لا يمكن تحرير الأقصى».

ويقول تنكجي: «كنت أنظّم المظاهرات مع أصدقائي منذ عام 1988 من أجل فتح آيا صوفيا كمسجد للشعب. وكان هذا هو حلم جيلنا. وقد كتبت أثناء شبابي قصيدة بعنوان «رثاء آيا صوفيا»، كما كتبت عام 2013 مقالة أطالب فيها بأن يصبح الدخول إلى آيا صوفيا بالوضوء وليس بالتذكرة». إلّا أنّ القاص والروائي ظفر دوروك، يرفض هذا الطرح، ويقول في حديث إلى «العربي الجديد»: «إن آيا صوفيا ميراث ثقافي مشترك للبشرية. وقد احترم أتاتورك المسيحية والإسلام معاً، وجعل منه متحفاً عام 1934. لكن النظام الإسلامي المحافظ الآن في تركيا يحاول بشتّى الطرق أن يجعل من تركيا دولة إسلامية، من خلال تجاهله مبادئ العلمانية والديمقراطية التي جلبتها الجمهورية. ولذلك قام بتحويل الميراث الإنساني المشترك إلى مسجد، مستخدماً منطقاً عثمانياً. وهذا يعني أن هذه الأراضي التي جعلت منها الجمهورية وطناً ما زالت ملكاً للسلطان، وأنّ قواعد الفتح والغزو قد حلّت محلّ القوانين المدنية. إننا نواجه نظاماً رجعيّاً يصف إنجازات الجمهورية بالخيانة، ويجعلون من مستبدٍ مثل السلطان عبد الحميد بطلاً، يقارنون بينه وبين أتاتورك. وهذا تطوّر خطير للغاية».

من داخل «آيا صوفيا» لمّا كان متحفاً (Getty)

> يعني القرار أنّ النظام يركّز على إبراز الهوية الدينية للدولة
>
> ليس بالضرورة صراعاً إسلاميّاً/علمانيّاً كما يجري تصويره

ويؤكّد الموسيقار الشهير فاضل ساي على هذه الفكرة بقوله: «إنني أرى أن مسجد السلطان أحمد بجوار آيا صوفيا كان شيئاً جميلاً يرمز للسلام. وأتصوّر أن جميع الناس كانوا يحبّون إسطنبول لأجل هذا. وفي الحقيقة كنت أفخر بهذا الأمر كثيراً. إنّي أحترم جميع الأديان، وموضوع آيا صوفيا لا يعنينا نحن فقط، ولكن يعني البشرية كلّها، لأن آيا صوفيا مكان يزوره أكثر من ثلاثة ملايين شخص سنويّاً».

وهناك بعض الآراء التي حاولت طرح أفكار جديدة حول الموضوع، مثل الشاعر صالح بولات. إذ يقول لـ «العربي الجديد»: «كان ينبغي الحفاظ على آيا صوفيا متحفاً، باعتباره رمزاً للسلام العالمي. ولكن كان من الممكن أيضاً أن يُفتح للعبادة للمسلمين يوم الجمعة، وللمسيحيّين يوم الأحد. إلّا أنه الآن صار مكان عبادة لدين واحد فقط، وهذا يعني أن أجواء السلام والتسامح قد انتهت. إن تحويل آيا صوفيا من متحف إلى مسجد يعني أن النظام يركّز على إبراز الهوية الدينية للدولة، على حساب تخلّيه عن الدخل الاقتصادي الذي كان يجلبه المتحف، ولا يُستهان به».

أمّا الروائي أحمد أوميت، فيرى أن «المشكلة في تركيا ليست في هذا الموضوع من الأساس، وأنه يجب أن نتذكّر ونحن نتحدّث عن موضوع آيا صوفيا أن حوالي 22 مليون تركيّاً بلا عمل. لقد أصبح العاطلون عن العمل هم النسبة الأكبر في البلاد، ويجب أن تُحلّ هذه المشكلة قبل أي شيء».

النص الكامل
على الموقع الالكتروني

قوميون أكثر من إسلاميين

من جهته، يذهب الباحث والناقد الادبي مراد بلجه الى ان «مشكلة آيا صوفيا ليست جديدة، وان النقاشات حول هذا الموضوع لم تتوقّف منذ الخمسينيات. وفي رايي، فان القوميين الاتراك هم الذين يرغبون في تحويل آيا صوفيا الى مسجد منذ ذلك الوقت، اكثر من الاسلاميّين انفسهم. ولاجل هذا تمّ تخصيص قسم في آيا صوفيا لاقامة الصلاة، ولكن يبدو ان هذا القسم لم يعد كافيا بالنسبة اليهم».

قصائد

كفّارة عيش في الماضي

نحن أيضاً في الجانب الآخر

اندرياس تيموتيّو

الكلمات

يومٌ تتساقط الكلماتُ من الجُثَث،
سيكون الضوء ضوءاً،
ستكون السماء سماءً،
ستكون الرّحم رحماً،
سيكون العناق عناقاً.
والموتُ في صمتٍ سيكون، كذاك الحبّ،
كلاهما يهجّيان الأجساد،
نحوَ قيامةِ الكلماتْ...

الجانب الآخر

ثمّة شعراء من جانب آخر.
ثمّة أناسٌ عاشوا الشّتات
كانوا قد شاهدوا الظلم يكبر في
أصدافهم، يُرجعهم إلى بيوتٍ غريبةٍ
مع ذكرياتٍ من أرضٍ أخرى.
ونحن بالنسبة لهم
موجودون أيضاً في الجانب الآخر.

امرأة من سيرلانكا

كلاهما نظرتا إلى الفراغ:
الأولى «الحياة التي ضاعت»،
والأخرى «الحياة التي فُقدت».
تقريباً بلا مُبالاة لبعضهما البعض
تقريباً لا تمسّها أيادي الليل العابرة
الأيادي التي رفعتها، أطعمتها،
نظّفتها،
الأيادي التي أصعدتها شمعة الآحاد
في الكنيسة في ساعات عمل إضافيّة،
دون أجر.
هي ذاتها الأيادي التي سوف تنظّف
الأوزار في الأيّام الصعبة.
الأيادي التي استلمتْ في ملف دينها
الشهري، كفّارة عيشها في الماضي.
الأيادي التي سوف تغلق العيون في
فجر ما.

تعليمات المقبرة

أولئك الذين لا يزالون يتذكّرون موتاكم،
يحملون الزيت للقناديل بعناية،
ويمدّون صحن الطعام للقطط.
أولئك يديرون ذكرياتٍ كلّها منسيّة.
ربّما هكذا يستردّون رفقتهم، لكل
هؤلاء،
غروبِ شمس جنائزيّة جنباً إلى جنبٍ
مع اليائسين.

باريس

هذه المدينة
تستطيع فيها أن تعطي موعداً
على أيّ جسر من جسورها.
في كلّ مكان تُواجهك المناظر،
أمّةٌ ويائسة في بعض الأحيان.
لا! لا يخدعنّك الشعراء المعلونون،
حقاً، لقد أنجبتهم هذه المدينة.
باهظ ثمن الجمال لديها،
لتكون مثلاً؛ رصينة.
جسور الزمن في هذه المدينة،
حواشٍ ضيّقة في رسائل غير مُستلمة.
بسذاجة طبيعتنا، انغمسنا
في معركةٍ غير متكافئةٍ لإفضل تصوير
من أجل شهاداتٍ لحظيّة تليق بمكانٍ
غريب.
حقاً في هذه المدينة تستطيع أن تضحك
مع قبّعة مائلة،
مع كلمة «ميرسي» ووشاح معقود
بمهارة
لكن، لا تنس أيّة لحظة:
إنّ ما مشيناه فيها يسير بنا
وما عشناه معها يكبر فينا...

(ترجمة عن اليونانية: عمر الشيخ)

الدرياس تيموتيّو

بطاقة

Andreas Timotheou، شاعر قبرصيّ من مواليد عام 1990 في مدينة لارنكا حيث يقيم حاليّاً. يحمل إجازة في علوم التعليم وعلم تعليم اللغة من جامعة قبرص ويعمل مدرّساً للمرحلة الابتدائيّة في مدارس قبرص. صدر له في الشعر: «للحظة وللأبد» (2011)، و«كل ذلك الذي أردتُ أن تعرفه (2013)، و«أزهار الضوء» (2014)، و«أيام أغسطس» (2016)، و«متجوّلٌ على حدود عدن» (2019). كما صدر له في السرد: «قصص مع شريط مزركش» (2019).

إطلالة

عالَم شعري بُني على الرمال

هزيمة الرومانسية

لوحة للفنان الألماني كاسبار دافيد فريدريش (من القرن التاسع عشر)

> ليست الرومانسية نقلاً للأفكار، بل تعبير اصيل عن رؤية وموقف لتيار بارز في الأدب العربي الحديث كان له أثر كبير في الوجدان الحيّ للعرب

معدوح عزام

ليست الرومانسية في الأدب العربي مجرّد محاكاة لما فكر به، أو كتبه من شعر وقصّة وتأمّلات الكتّاب في الغرب... يمكنك أن تجد كثيراً من الكتّاب أو النقّاد العرب يردّدون كلاماً من هذا القبيل. ولن تكون أي فكرة أخرى يتم الإيمان بها، نقلاً، أو نسخاً. وفي الغالب فإن انصار العزلة، أو ادعياء الأصالة التي تحتوي في بنيتها نزعات عنصرية، هم من يمكن أن يدّعوا أنّ الثقافة، أيّ ثقافة، نقية تماماً. فالثورة ضد الظلم والاستغلال ليست محاكاة للثورات مثلاً، بل هي موقف إنساني يشمل البشر المظلومين في أي بقعة من بقاع الأرض. والمطالب الأخلاقية، لم تضعها ثقافة بلد دون الآخر، بل يمكن أن يكون قد صاغها صياغة صحيحة ومتينة هذا المفكّر أو ذاك من هذه الثقافة أو تلك. ولهذا فانت تتبنّى قيم الحق والخير والعدالة والمساواة، التي هي قيمك، ولا تستوردها من أي خارج. أمّا الاسم فهو استعارة مناسبة لوصف هذا الاتجاه الذي مثّله العشرات من الكتّاب العرب.

ليست الرومانسية نقلاً لأفكار إذن، بل هي تعبير أصيل عن رؤية وموقف لتيار كبير ومؤثّر في تاريخ الأدب العربي الحديث. فمن جبران خليل جبران إلى إلياس أبو شبكة إلى عبد الباسط الصوفي الشاعر السوري شبه المجهول وغيرهم بالطبع، أسّست الرومانسية العربية اتجاهاً في الشعر والقصّة كان له ذات يوم أثر كبير في الوجدان الحي للعرب.

معظم الدراسات التي قاربت الرومانسية (ولها تعريب متباين بحسب اللغة التي عُرّبت عنها أو بحسب اجتهاد المعرّب مثل الرومانتيكية، أو الرمانطيقية، أو الرومانتية) في الأدب العربي، ربطت بين النشأة، وبين الواقع الاجتماعي، إذ إنها كاتجاه إنما كانت تعبّر عن مسعى وفكر ووجدان الطبقات الاجتماعية الناهضة في المجتمع العربي في بدايات ومنتصف القرن العشرين.

كانت الرومانسية العربية تعبيراً عن الأمل في التغيير الذي وُعد به الناس في منتصف القرن الماضي، وكان جبران خليل جبران ينشد: «أعطني الناي وغنّ»، لكن فشل القوى الاجتماعية التي راهنت عليها، مضى بشعرائها وكتّابها إلى ذلك الإحساس بدمار العالم.

يمكن للشاعر السوري عبد الباسط الصوفي أن يكون الأكثر تمثيلاً للمصائر «النموذجية» التي حاقت بهذا الاتجاه كلّه؛ فمن الحماسة لكل شيء، والتغنّي بالطبيعة والإنسان، وإلى اليأس الكلي، و«الغربة الروحية، والتعبير عن الحرمان والفشل في الحب»، كان الشاعر يكتب الشعر، حتى إنه ملأ ديواناً كبيراً، نشرته له وزارة الثقافة السورية عام 1961 بعد انتحاره في غينيا حيث كان مغترباً.

وإذا كان قد نُسي (حتى أن الدراسة الوافية التي وضعها عنه الشاعر السوري ممدوح سكاف، لم تستطع إعادة التعريف به من جديد، كما تم التعريف بأقرانه من شعراء الرومانسية في الثقافة العربية)، فإننا يمكن أن نعزو ذلك إلى هزيمة الرؤية أو العالم الشعري الذي بنته الرومانسية على الرمال أو كما قال هو نفسه: «أنا يا رمال على السراب أجوب أعماقي البعيدة/ أنا في سحيق الوهم أنتزع المدى صوراً شريدة».

(روائي من سورية)

> من الحماسة لكل شيء والتغنّي بالطبيعة والإنسان، إلى اليأس الكلّي

شذرات

حين يفرض النظام الاستعماري نفسه لا يستطيع قتل الثقافة المحلية، لكنه يضعها في مستوى ثان ويجمّدها، وبذلك تكون موجودة ولكنها اقرب إلى مومياء. ابناءُ ثقافةِ-مومياء يشعرون انهم مومياءات ما لم يتشبّهوا بالثقافة الغالبة.

فرانز فانون ـ «من اجل ثورة افريقية»

«النساء اكثر فطنة من الرجال»؛ بمثل هذا القول الرائج - منذ عقود قليلة - تتجه النساء لخسارة ما يملكن؛ تحديداً تلك الفطنة التي تحتاج الى مسافة قصيرة بين الادراك والحدس. مسافة لا يجعلها اليقين بتفوّق الا ضبابية.

دوونغ ثو هوونغ (كاتبة من فيتنام) ـ من رواية «ارض النسيان»

الثورات الهائلة التي اجرت الدماء كالسواقي، وجعلت الحرية تُعبَد كالآلهة، كانت فكرًا خياليًا مر تعسًا بين تلافيف دماغ رجلٍ فردٍ عائش بين الوف الرجال.

جبران خليل جبران ـ «الاجنحة المتكسرة»

يرى المؤلف القارئ مثل إسفنجة تمتصّ النصوص، فيما ان البحث الميداني يكشف كم ان القرّاء غير معنيين بما يقراون، فالقراءة في معظمها عابرة، حيث ان اكثر القرّاء ينسون اسماء الكُتّاب ولا يذكرونها إلا حين تعترضهم في الميديا.

كلود بواسونو (باحث فرنسي) ـ «سوسيولوجيا القراءة»